﴿وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ١٤٢﴾ [سورة الأنعام: 142]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

الشُّروعُ في ذكْرِ نَوْعَيِ الأنعامِ، بعد ذكْرِ أنواعِ الجنّاتِ

لـمَّا كانَ السِّياقُ لِلمَآكِلِ منَ الحَرثِ والأنعامِ من حَلالٍ وحَرام، وفَرَغَ من تقريرِ أمرِ الحَرثِ الَّذي قُدِّمَ في الجملةِ الأولى؛ لأنَّه مادَّةُ الحَيَوانِ، قالَ: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ﴾ الآية[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿حَمُولَةٗ﴾: الحَمُولَةُ مَا أَطاقَ العَمَل والحَمْل؛ أي: ما استحقَّ أنْ تُحمَلَ عليه الأحمالُ، والأثقالُ من صغارِ الإبلِ، وغيرها، فالحَمُولَةُ عليه كالرَّكُوبةِ لِمَا يُركَبُ عليه، وتُطلَقُ الحَمُولَةُ على الإبِلِ بأَثقَالِهَا[2]، هي ما حُمِلَ منَ الأنعامِ؛ لأنَّ ذلك من صفتِها إذا حمَلَت، لا أنَّه اسمٌ لها، كالإبلِ والخيلِ والبغالِ[3].

2) ﴿وَفَرۡشٗاۚ﴾: الفَرْشُ الصِّغارُ منَ الإبل[4]، أو هو منَ النَّعَم ما لا يَصلُحُ إلَّا للذَّبحِ[5]، أو هو: ما يُفْرَشُ منَ الأنعامِ؛ أي: يُركَبُ[6]، والفرشُ في الآيةِ صغارُ الإبلِ، أو الغنمِ، أو ما تأكلونَ، وتحلبونَ شاةً لا تَحملُ، تأكلونَ لحمَها، وتتَّخذون من أصوافِها لحافًا وفَرشًا[7]، والمعنى الأخير رجَّحَه ابنُ كثير[8].

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 7/293.
(2) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (حمل).
(3) ابن جرير، جامع البيان: 12/181.
(4) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (فرش).
(5) ابن منظور، لسان العرب: (فرش).
(6) الرّاغب، المفردات: (فرش).
(7) ابن جرير، جامع البيان: 12/179.
(8) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 3/350.

3) ﴿خُطُوَٰتِ﴾: الخطوةُ هِيَ المسَافَة بَين القَدَمَين في المَشي[1]، وهي - بالضّمِّ: ما بينَ القدمَين، وبالفَتح: الفِعْل، والمَرَّة: خَطَا خَطْوًا - بالفتح - واختَطَى: مَشى[2]، وخطواتُ الشَّيطانِ سبيلُهُ، ومسلكُهُ، وأثرُهُ، والائتمامُ به، وطاعتُهُ فيما يزيِّنُ من تحريمِ حلالٍ واستحلالِ حرامٍ في الشَّرع[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

أَي: وأنشأَ مِنَ الأَنعَامِ كُلَّ مَا يُحمَلُ علَيهَا منَ الإبل، والصِّغارِ مِنَ الإبِلِ، أو ما تأكلونَ، وتحلبونَ شاةً لا تحملُ، تأكلونَ لحمَها، وتتَّخذون من أصوافِها لحافًا وفَرشًا، فكلُوا ممَّا أحلَّ اللّٰهُ لكُم منها، ولا تحرِّمُوها كما في الجاهليَّة؛ فلَا تَسلُكُوا طَريقَ الشّيطان وآثَارَهُ في تَحريمِ الحَرثِ والأَنعَامِ؛ إِنَّهُ لَكُم عَدُوٌّ مُبِينٌ[4].

إباحةُ ما أحلَّهُ اللهُ من الأنعامِ؛ لتأكلُوا من رزقِ اللهِ، وتحذرُوا خُطواتِ الشّيطانِ

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دَلالةُ (الواوِ) العاطفةِ في مَطلَعِ الآيةِ:

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ﴾، استوفى العطفُ مقاصدَ القرآنِ مِنَ البلاغِ؛ فلا يُهلكُ إلَّا مَن تجذَّرَ الفسقُ فيه، واستَقَى من تربتِه، واغتذَت عروقُهُ مُتشعِّبةً مُعشبةً منه: ﴿بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٣٥﴾ [الأحقاف: 35]، ومن الإنذارِ المزلزِلِ الَّذي يدكُّ معاقلَ الشِّركِ والوثنيَّةِ دكًّا دكًّا، بعدَ جثومِها، وفيما تقدَّمَ في السُّورةِ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ [الأنعام: 19].

في العطفِ استيفاءُ مقاصدِ القرآنِ، بلاغًا وهُدًى ورَحمةً وحِكمةً

ومن البيانِ الَّذي يردُّ الفطرةَ إلى نقائِها بإخلاصِ التَّوحيدِ

(1) ابن دريد، جمهرة اللّغة: (خطو)، وابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/354.
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (خطو).
(3) الواحديّ، التّفسير الوسيط: 1/253.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 12/179، والبغويّ، معالم التّنزيل: 2/165، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 3/350، والنّسفيّ، مدارك التّنزيل: 2/35.

والعبادةِ والتَّوجهِ، ويقيمُ الوجهَ للدِّينِ حنيفًا واصبًا، وفي التَّنزيلِ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [النّساء: 26]. والفصلِ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾﴾ [الطّارق: 13 - 14]، ومن فصلِهِ مفاصلتُهم ومنازلةُ الّذين يُزَيِّنَونَ لهم، وَيستَزِلُّونهم: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾ [النّساء: 27]. وَالحُكْم: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النّساء: 105]، ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [المُمتَحَنَة: 10]. والهُدَى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: 15 - 16]، والرَّحمةِ: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [القَصص: 46]، والحكمةِ: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾﴾ [الإسراء: 39]، والنِّعمةِ: ﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾ [النّحل: 81].

بَلاغةُ الوصْلِ في الآيةِ الكريمةِ:

من المقاصدِ إقامةُ الحُجَّةِ، وقطْعُ المعذِرةِ، وتأنيسُ السُّراةِ، وإظهارُ الامتنانِ

في طيِّ وصلِ الآيةِ بما قبلَها مقاصدُ لا يبلغُها العدُّ من إقامةِ الحجَّةِ وقطعِ المعْذرةِ وتأنيسِ السُّراةِ السَّائرين في الظُّلمةِ يتلمَّسونَ الحقَّ، إلى ما لا يُحصَى، والَّتي منها معنا هنا إظهارُ الامتنانِ ببهيمةِ الأنعامِ الَّتي جعلَها اللّهُ من وسائلِ التَّخفيفِ عنِ الإنسانِ في التَّنقُّلِ بحملِ أثقالِهِ وحملِهِ، ثمّ تزكّى، فتكونُ طُعمَتُهُ وغذاءَهُ، وليزيحَ عنها بإحلالها وَصمةَ التَّقسيمِ والحرمانِ بما حكاهُ وألغاهُ: ﴿فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾، وكان هذا من خزعبلاتِ طواغيتِهم في الحرثِ والأنعامِ: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا

فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ﴾، وقد مرَّ بنا كيف أنَّ اللهَ أبانَ أحسنَ البيانِ في الحرثِ، وجاءَ أوانُ البيانِ في الأنعامِ بهذه الآيةِ الجامعةِ الفذَّةِ.

محلُّ المعطُوفِ عليه في نسَقِ الجُملةِ، وسِرُّ إضْمارِهِ:

اكْتفَى بالمذكورِ إيجازًا واكتفاءً

المعطوفُ عليه هو الفعلُ الماضي ﴿أَنشَأَ﴾، ومحلُّه في نسقِ الجملةِ قبلَ مفعولِهِ: ﴿حَمُولَةً﴾، وإنَّما لم يُذكَرْ اكتفاءً بما قبلَهُ، وإيجازًا في الكلامِ[1]، ليتعيَّنَ استصحابُه، فإنَّ السِّياقَ الَّذي ذُكِرَ فيه كالمُقدِّمِ المُمهِّدِ لمَا بعدُ، وهو ما نحنُ فيه هنا، والجملتان مُتآخيتان مُتلازمتان، والمجرور ﴿ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾؛ وهي المفصَّلةُ بعدَ ثمانيةِ أزواجٍ على ما سيأتي في آيتِها.

فائِدةُ العطْفِ تَحصُّلُ معنَى القصْرِ في جُملةِ المعطوفِ عليهِ:

اللهُ هو الخالقُ للحَمُولةِ والفَرْشِ، والقاهرُ الّذي استوَى على العرشِ

حملَ الجملةَ الثَّانيةَ ﴿وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ﴾ على معنى القصرِ الَّذي في المعطوف عليه، بتعريفِ الطَّرفين: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ﴾ كما بَيَّنَّا قَبلُ، فيكون المعنى: أنَّه ﷻ وحدَه الَّذي أنشأَ منَ الأنعامِ حَمولةً وفَرشًا، لا آلهةَ المُشركين، فالمُشركونَ ظالمونَ في جعلِهم للأصنامِ حظًّا في الأنعام[2].

دلالةُ (مِنْ)، في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾:

الأنعامُ مُبتدأُ التَّعويلِ في الغِذاءِ، وبها قِوامُ حياةِ النّاسِ

أثرُ (من) الابتدائيَّة في المعنى: أنَّ مبدأَ استيفائِهم طُعمَتَهُم هو منَ الأنعامِ، فـ"أوَّلُ ما يتبادرُ للنَّاسِ حين ذكرِ الأنعامِ أن يتذكَّروا أنَّهم يأكلونَ منها "[3].

والأنعامُ من مبتدأِ النَّظرِ إليها مُسخَّرةٌ مُيسَّرةٌ مُسيَّرةٌ، لا غنى لهم عن ألبانِهَا، ولا بهم عن لحومِهَا، ولا يقيمُ أَوَدَهُم، ويُذْهِبُ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ126.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ124.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ126.

رَهَقَهُم، وَوَهنَهم، وانحطاطَ قِواهُم البدنيَّةِ والنَّفسانيَّةِ غيره، ولا يعوِّلونَ على شيءٍ منَ الطَّعامِ والشَّرابِ تعويلَهم عليهِ، وانظر كيف كانوا ينحرونَ يومًا تسعًا ويومًا عشرًا في خروجِهم لغزوةِ بدرٍ، وبذلك حسبَ النَّبيُّ ﷺ عددَهُم تقديرًا؛ إذْ كَانَ نحرُ البعيرِ الواحدِ مُعتادًا لإطعامِ مئةٍ بكفاية.

مَاهِيَّةُ الأنعامِ، وعِلَّةُ تعريفِها:

الأنعامُ المقصودةُ معروفةٌ مَشهورةُ المنافعِ

والأنعامُ ما يُحمَلُونَ عليه، فيبلِّغهم ما لم يكونوا لِيبلُغُوه إلَّا به، وما يأكلونَ منها، ويتنعَّمونَ بمنافعِهَا: ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۖ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ۝٦ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝٧﴾ [النَّحل: 5 - 7]، وهي أنعامٌ مَعهودةٌ مَعروفةٌ مَخصوصةٌ بالجمالِ، والخيلِ، والبِغالِ والحَميرِ، وما يُؤكَلُ لحمُهَا، وتُتحصَّلُ منافعُهَا.

بَلاغةُ تقديمِ الجارِّ والمجرورِ ﴿وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾:

تَعْجيلُ الإخبارِ بالمِنَّةِ بالأنعام، وتَضليلُ مَن يُحَرِّمُ بعْضَها سَفهًا

قدَّمَ الجارَّ والمجرورَ ﴿وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ على المفعولِ المُتعلَّقِ بفعلهِ المُقدَّرِ (أنشأ) ﴿حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ﴾؛ لإظهارِ عنايتِهِ بما يشغلُهم، ولتعجيلِ الخبرِ بالمِنَّةِ عليهم، ولإنهاءِ الحُكمِ إليهم ليشتغلوا بهِ، ويكلّفوا ترديدَه قبل أن تأخذَ بهمُ الأهواءُ إلى مجاريها كلَّ مأخذٍ، وليفضيَ إليهم أنَّ الحُكمَ في كلِّ شيءٍ - ومنه الأنعامُ - إليه، كما أنَّ الإنعامَ بذلك - أصلًا - منه، وليردَعَهُم عنِ الافتئاتِ عليه بالتَّقسيمِ الَّذي زعمُوا في التَّحليلِ، والتَّحريمِ الَّذي وهموا، وأخيرًا للاهتمامِ الَّذي يُدخِلُ الهَمَّ في كلِّ شيءٍ عَنَى وأهَمَّ، ولينصفَ أزواجَهُم منهم بالإشراكِ في الحلِّ لما ذُكِّي صادًّا الجميعَ عنِ الحرامِ فيما حرَّمَ، ضاربًا المثلَ في الاكتفاءِ بالدَّلالةِ على ذلك كلّه بِجَرِّهِمْ إلى التَّفكُّرِ في عظمةِ الإنعامِ بما خلقَ اللهُ لهم من الأنعامِ - عليه - قسمين: حَمولةً وفَرشًا

على ما سنُفصِّل. ومن فائدةِ تقديم الجارِّ والمجرورِ قصدُ الاهتمام بأمرِ الأنعام بجعلِها المقصودَ الأصليَّ من سياقِ الكلام، إرادةُ إبطالِ تحريم بعضِها، وإبطالِ جَعْلِ نصيبٍ منها للأصنام كذلك، وما إبطالُ حلِّ الميتةِ من مقاصدِ القرآنِ ببعيدٍ، فذلك جميعُه وراءَ تقديم الجارِّ والمجرورِ على المفعولِ الَّذي هو أوْلى بالتَّقديم في تَرتيبِ المُتَعَلَّقاتِ، وذلكم الغَرَضُ الَّذي تليه سائرُ الأغراضِ؛ كالامتنانِ عليهم بتسميةِ الحَمولةِ والفَرشِ خاصّةً، اللَّذَيْنِ ذُكِرَا إدماجًا في المقصودِ، وتَوفيرًا للأغراض، وإيجَازًا عن الإطنابِ بمثلِ قولِ: (وأنشأَ لكُمُ الأنعامَ، وأنشَأَ منها حَمُولةً وفَرشًا)، فأدمجَ الأغراضَ بعضَها في بعضٍ ما بينَ فكِّ الارتهانِ بعقدِ الشَّيطانِ، وما بينَ الامتنانِ بنعمِ الحنَّانِ المنَّانِ، وإيقاظِ فطرتِهم وضمائرِهم أنَّهم مَدينونَ للدَّيَّانِ[1].

تَوجِيهُ التَّعبيرِ بـ ﴿حَمُولَةً﴾ في الآيةِ الكريمةِ:

مِن مِنَنِ الأنعامِ فَـرْطُ تحمُّلِها للأثقالِ

الحَمولةُ ما تحملُ الأثقالَ، والمقصود الأنعام الكبار الَّتي تصلحُ للحَملِ، ومن ثَمَّ قرأَ الإمامُ أبو جعفر يزيدُ بنُ القَعْقاعِ المدنيُّ: ﴿بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾ بفتحِ الشِّين، فزادَ في إبرازِ ما تُكابدُهُ تلك الأنعامُ من مَشقَّةٍ مُلحِقَةٍ أبلغَ الضُّرِّ والعياءِ والانقطاعِ بمَن امتَنَّ عليهم بما يناسبُ تسميتَها ﴿حَمُولَةً﴾، وبين صيغة (فَعُول) كشَمُوسٍ وجَمُوحٍ، وبينَ تاءِ المبالغةِ في آخرِ الصِّيغةِ؛ ليدُلَّ على فرطِ ما تَحملُ من أثقالٍ؛ تنوءُ بها العُصْبَةُ أولو القُوَّة وتَعْيَا وتَكِلُّ، لتظهرَ المَنَّةُ عليهم أجلى ما تكونُ.

معنَى التَّاءِ في قولِهِ تعالى: ﴿حَمُولَةً﴾:

تأكيدُ المبالغةِ، والـدّلالـةُ على شُهرةِ الأمرِ

قد تأتي للمبالغةِ في الوصفِ كرجلٍ راويةٍ؛ لكثيرِ الرِّوايةِ، أو أنَّ روايتَهُ أصبحَت أمرًا عامًّا مَشهورًا، أو على درجةٍ بَليغةٍ منَ الاتِّصافِ بالأمرِ، وقد تأتي لتأكيدِ المبالغةِ، نحو: رجلٌ (نَسَّابَةٌ)

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/أ125.

لكثيرِ العلمِ بالأنسابِ؛ ذلك أنَّ كلمةَ (نسَّاب) صيغةُ مبالغةٍ بنفسِهَا، فإذا زِيدَت عليها التَّاءُ أفادَت توكيدَ المُبالغةِ[1]، فـ"الهاء في ﴿حَمُولَةَ﴾ للمبالغة"[2]، ولتأكيدِ المبالغةِ، لكثرتِها حتى أصبحت أمرًا عامًّا مشهورًا في الأنعام.

عِلَّةُ التَّعبيرِ بالفَرْشِ منَ الإبل، في الآيةِ الكريمةِ:

الدّلالةُ على المبالغةِ في صِيغة التّسْمِيةِ بالحَمولةِ والفَرْشِ

من بلاغةِ القرآنِ العظيمِ وأدبيَّاتِهِ المُعجِزةِ أنَّه واءَمَ بينَ الاسمينِ المُقترنَينِ في الامتنانِ، في دلالةِ كلٍّ منهما على المبالغةِ البالغةِ أقصى حدودِ التَّصوُّرِ؛ فكما أنَّ الكلمةَ الأولى ﴿حَمُولَةَ﴾ على وزنِ المبالغةِ (فَعُول) وبآخرِهَا تاءُ المُبالغةِ، وهي الكبيرةُ كما فسَّرْنا، فكذلك الكلمةُ الثَّانيةُ دالَّةٌ على المبالغةِ من بابِ الوصفِ بالمصْدرِ (فَرْش)، والمرادُ منها: الصَّغيرةُ الَّتي يُؤكَلُ لحمُها فَيُلْتَذُّ به، ويُجْتَمَعُ عليه، والحَمولةُ والفَرشُ جميعًا منَ الإبلِ. ويُمكنُ الاستئناسُ في إجازةِ دخولِ التَّاءِ في ﴿حَمُولَةَ﴾، بأنَّ صيغَ المبالغةِ كاسمِ الفاعلِ، يمكنُ أن تتحوَّلَ إلى صفاتٍ مُشبَّهةٍ، وعلى ذلك في حالةِ دلالتِهَا على الصِّفةِ المشبَّهةِ، يمكنُ أن نلمحَ المعنى الأصليَّ لها؛ وهو المبالغةُ، فتدخلُ عليها التَّاءُ؛ جريًا على قاعدةِ دخولِ التَّاءِ في اسمِ الفاعلِ، وفي صيغِ المبالغةِ للتَّأنيثِ؛ بجامعِ الاشتراكِ في أنَّه يُؤكَلُ غالبًا وكثيرًا على حينِ تُستبقَى الحَمولةُ للحَملِ.

سَعةُ الأقوالِ في معاني الفَرْشِ عندَ الطّاهرِ بنِ عاشور:

لفظُ (فَرْشًا) لا يقومُ مقامَه غيرُهُ، في تأديةِ معانٍ، تدخلُ في لُبِّ فصاحةِ القُرآنِ

وقد ذكرَ ابنُ عاشورٍ رحمَه اللّه في الفَرشِ ستةَ أقوالٍ: أوَّلها: أنَّه مالا يُطيقُ الحَملَ منَ الإبلِ، فَهو يُركَبُ كما يُفرَشُ الفَرشُ، والثَّاني: الصِّغارُ منَ الإبلِ القريبة منَ الأرضِ أو منَ الأنعامِ كلِّها فهي كالفَرشِ، والثَّالث: ما يُذبَحُ كالبقرِ والضَّأنِ والمَعزِ؛ لأنَّه يُفرَشُ

(1) عبّاس حسن، النّحو الوافي: 4/592، والسّامرائّي، معاني الأبنية، ص: 123.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/354.

حينَ الذَّبحِ أو بَعدَهُ، والرَّابع: ما نقلَهُ في اللِّسان عن أبي إسحاقَ: أنَّه هو صِغارُ الإبلِ بإجماعِ أهلِ اللُّغةِ، والخامس: مازادَه الكشَّافُ: أنَّه ما يُنسَجُ مِن وبَرِهِ وصُوفِهِ وشَعرِهِ، كالَّذي في [النّحل: 80]، وينبغي قيدُهُ بغيرِ الحَمولةِ للتَّقسيم في الآيةِ، والسَّادس: ما كانوا يَفترشُونَ جلودَهُ للجلوسِ عليها، ثُمَّ عقَّبَ قائلًا: ولَفظُ ﴿وَفَرۡشٗا﴾ صالحٌ لهذه المعاني كُلِّها، ومَحاملُهُ كُلُّها مُناسِبَةٌ للمَقام، فيَنبغِي أن تكونَ مَقصُودَةً منَ الآيةِ، وكأنَّ لفظَ (فرش) لا يُوازِنُهُ غيرُهُ في جمعِ هذه المعاني، وهَذا من إعجازِ القرآنِ من جانبِ فَصاحتِهِ[1].

سِرُّ اختِصاصِ التَّسْمِيةِ بالحَمولةِ، والفَرْشِ:

التَّنبيهُ على أنَّ مِنَ الأنعامِ ما يَصلُحُ للوضْفَينِ

اختُصَّ الصِّنفان بهذين الاسمين؛ ليردَّهم اللّهُ عن مُسمَّياتٍ ممنوعةٍ ما جعلَها اللّهُ إلى بديلٍ مشروعٍ منَ المُسَمَّيات: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٠٣﴾ [المائدة: 103]، وليلفتَهم بقوَّةٍ إلى ما تصلحُ الأنعامُ له، فهي بين (حَمُولَةٍ) و(فَرْشٍ)، وإذا كانَت كلُّها مأكولةً؛ فلا حرجَ أن يُؤخذَ منها اللَّبنُ، ويُغتذى ويُشرَبَ، ويمكن أن تَؤُولَ الحَمُولَةُ إلى أن تُنْحَرَ وتُؤكَلَ، وتُترك الفَرشُ حتّى تكبُرَ، وتَحمِلَ. فهذا منحًى تربويٌّ يعلِّمنا اللّهُ إيَّاه أنَّ النَّفسَ إن لم تشغلْها بالحقِّ، شغلتك بالباطلِ، فمن ثمَّ جاء الاسمان الجديدان، وحَسُنَ مجيئهما.

تَوجِيهُ إعرابِ جُملةِ: ﴿حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ﴾:

مَنْ رَكِبَ الهوَى، فـغـيَّرَ شـرْعَ المولَى، مَنْبوذٌ منَ الصَّفوةِ

الوجهُ الأمثلُ في إعرابِ الجملةِ: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ﴾ أن يكونَ الجارُّ والمجرورُ مُتعلِّقَينِ بالفعلِ (أَنْشَأَ) المُقدَّرِ، وأن يكونَ ﴿حَمُولَةٗ﴾ وما عطفَ عليه ﴿وَفَرۡشٗاۚ﴾ مفعولًا به لهذا الفعلِ المُقدَّرِ، والفعلُ المُقدَّرُ مَعطوفٌ على مثيلِهِ المذكورِ المُصدَّرةِ به الآيةُ قَبلُ.

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/أ125 - 126.

وكأنَّ الحِجاجَ المُعبَّرَ عنه بأوجزِ وجهٍ انتقلَ إلى بيانِ أنَّ الأنعامَ لم تُخلَقْ لغيرِ هذا، فإذا تلعَّبتِ الأهواءُ بقومٍ، فذهبُوا مَذاهبَ ممنوعةً غيرَ مشروعةٍ ابتغوا بها وراءَ ذلك؛ فأولئك المتَّبِعُونَ خُطُواتِ الشَّيطانِ، فما أحرى أن يَنْبِذَهُمْ كُلُّ ذي لُبٍّ، وأن يُعْرِض عنهم صُدُودًا من كان له قَلْبٌ!.

سِرُّ تقديمِ الحَمولةِ على الفَرْشِ، في الآيةِ الكريمةِ:

الحَمولةُ أكثرُ نفعًا مِنَ الفَرْشِ، وكِلاهما مِنَ الإبلِ المستعمَلَةِ عندَ العربِ

قدَّمَ الحَمولةَ على الفَرشِ؛ لأنَّها أعظمُ في الانتفاعِ[1]؛ إذ ينتفعُ بها في الحَملِ والأكلِ، والعربُ تقدِّمُ النَّاقةَ في ذلك على البعيرِ، وقد أفاضَت قصيدةُ كعب بنِ زهير اللَّاميَّة في وصفِ ناقتِه بما جازَ وجازَ، وأغربَ، وأطربَ، وأتى في وصفِ عَدوِها وسرعتِها بما أجلبَ وأعجبَ.

في مُناسبةِ الأمْرِ بالأكلِ ﴿كُلُواْ﴾ تعميمٌ لها لا تخصيصٌ لبعْضِها:

فعلُ الأمرِ، إبطالٌ لتَحريمِ ما حرَّمَه المُشركونَ على أنفسِهم

مناسبةُ الأمرِ بالأكلِ بعدَ ذكرِ الأنعامِ: أنّه لمَّا كانَ قولُهُ: ﴿وَفَرْشًا﴾ شيئًا مُلَائمًا للذَّبحِ، كما تَقدَّمَ؛ عَقَّبَ بالإذنِ بأكلِ مَا يَصلُحُ للأكلِ منها، واقتَصَرَ على الأمرِ بالأكلِ؛ لأنَّه المَقصودُ منَ السِّياقِ إبطَالًا لتَحريمِ ما حَرَّمُوهُ على أنفسِهم، وتَمهيدًا لقولِه: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ﴾، فالأمرُ بالأكلِ هُنا مُستعمَلٌ في النَّهي عَن ضِدِّه، وهو عَدَمُ الأكلِ مِن بعضِها؛ أي: لا تُحرِّمُوا ما أُحِلَّ لكم منها اتِّباعًا لِتَغريرِ الشَّيطانِ بالوَسوَسَةِ لِزُعماءِ المُشركينَ الَّذين سَنُّوا لهم تِلكَ السُّنَنَ الباطلَةَ، وليسَ المرادُ بالأمرِ الإباحةَ فَقَط[2].

سِرُّ مُخاطبتِهم جميعًا بواوِ الجمْعِ:

الجامعُ بينَ المأمورينَ عُبوديَّتُهم للخالقِ سُبحانَهُ

في فاعليَّةِ الواوِ توحيدُ الآمرِ لهم جميعًا؛ إذ هو وحدَهُ الإلهُ الحقُّ الخالقُ الرَّازقُ الَّذي له الحكمُ وحدَهُ سبحانَهُ، وتوحيدُ المَأمورينَ المُخاطَبينَ بجامعِ اشتراكِهم في العبوديَّةِ للّهِ تعالى جميعًا.

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/671.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ126.

وَجْهُ العُدولِ عنِ الضَّميرِ، إلى الإتيانِ بالموصولِ:

الإشـــارةُ إلى إباحةِ ما حرَّمَهُ المُشركونَ من بعضِ الأنعامِ

وعدلَ عنِ الضَّميرِ بأن يقولَ: (كُلُوا منها) إلى الإتيانِ بالموصولِ ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾؛ ليبيحَ ما حرَّمُوهُ، ولإزالةِ ما سنَّهُ الكفَّارُ منَ البحيرةِ والسَّائبةِ وغيرِ ذلك[1]، ولِمَا في صلةِ الموصولِ منَ الإيماءِ إلى تضليلِ الّذين حرَّمُوا على أنفسِهم، أو على بعضِهِمُ الأكلَ من بعضِهَا، فعطَّلُوا على أنفسِهم بَعضًا ممَّا رَزَقَهُمُ اللهُ[2]. فالإسلامُ يحوِّل العاداتِ إلى عباداتٍ؛ إذا فعلَها المُكلَّفُ احتسابًا ونوى بها الامتثالَ؛ كالأكلِ الَّذي شرعَ لهم هنا إبطالًا لأمورِ الجاهليَّةِ وتزوُّدًا.

سِرُّ التَّصريحِ بمفعولِ (رزق):

أحاطَهُم اللهُ برحمتِهِ، وشملَهم بعَطائِهِ

نصَّ على مفعولِ (رزق)، وكانَ يمكنُ أن يقولَ: (كُلُوا ممّا رزقَ اللهُ)، فوجَّهَ الخطابَ لهم تكريمًا بشمولِهِم في رحمتِهِ، وإحاطتِهِم بمنِنِهِ، فقال لهم: ﴿كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾.

بَلاغةُ التَّصريحِ بلفظِ الجلالةِ ﴿ٱللَّهُ﴾:

الرِّزقُ مِنَ اللهِ وحدَه يَهبُهُ مَن يشاءُ، ويمنعُهُ مَن يشاءُ

ذكرَ الاسمَ الأعظمَ الفاعلَ بلفظِ الجلالةِ ﴿ٱللَّهُ﴾، ولم يقُل: رزقْناكُم مثلًا، أو (رُزِقْتُمْ) بالبناءِ للمفعولِ، ودلالةُ الإدغامِ الكبيرِ فيه تشريفٌ وتخصيصٌ للرّزقِ به تعالى بالاسمِ الدَّالِّ على الكمالِ كلِّه، وذِكْرُه في مَواطِنِ الخيراتِ والنِّعَمِ والمِنحِ من عاداتِ القرآنِ.

سِرُّ مجيءِ فعلِ النَّهْيِ منَ الافتعالِ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ﴾:

الإيـحـاءُ بـأنَّ المـنـهـيَّ عـنـه يُخالِفُ الفطرةَ

توحي صيغةُ الافتعالِ بمعاكسةِ المنهيِّ عنه للفطرةِ، بوصفِهِ ثقيلًا بغيضًا على النَّفسِ، وأنَّ الهمَّةَ لا تنبعثُ إليه؛ لأنَّ وازعَ اللهِ في النَّفسِ البشريَّةِ يأباه، ولأنّ الضَّمير الحيّ يكفُّ صاحبَه عنه، ويعوقُهُ، ويقاومُهُ.

---

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/354.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ126 - 127.

المَغزَى وراءَ النَّهْيِ عنِ اتّباعِ خُطواتِ الشّيطانِ:

النَّـهـيُ عـنِ شُؤونِ الشِّركِ، واعـتِـقـادِه وممارَسَتِه

قال ابنُ عاشور: "فإنَّ أوَّلَ خُطُواتِ الشَّيطانِ في هذا الغَرَضِ تَسويلُهُ لَهم تَحريمَ بَعضِ مَا رزقَهُمُ اللّهُ على أنفسِهم"[1] واستنادًا إلى الأمرِ في الآيةِ: ﴿كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾، ينبغي أن يُضافَ إليه التَّنبيهُ على استحلالِهم ما حرَّمَ اللّهُ عليهم، كأكلِ الميتةِ استنادًا إلى النَّهي في الآيةِ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾.

بَلاغةُ الاستعارةِ التَّمثيليَّةِ، في ﴿خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾:

التَّشنيعُ عَلى المُخالِفِ، رَدْعٌ له عن غَيِّه وضَلالِه

في قولِه: ﴿خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾ استعارةٌ تمثيليَّةٌ، لها أثرها في تقبيحِ صنيعِ المُخالفِ، وتكريهِ فعلِه، وبيانِ أنَّه يكون مَمقوتًا سائرًا في طريقٍ تُصَبُّ عليه لعناتُه، وتلحقُه مَعَرَّتُهُ، وأصلُها أنَّ السَّائرَ إذا رأى آثارَ خُطُواتِ السَّائرين تبعَ ذلك المَسلكَ؛ عِلْمًا منه بأنَّه ما سارَ فيه السَّائرُ قبلَهُ إلَّا لأنَّه مُوصِلٌ إلى المطلوبِ، فشبَّهَ المُقتدِي الّذي لا دليلَ له سوى المُقتدَى به، وهو يظنُّ مَسلكَهُ مُوصِلًا بالَّذي يتبعُ خُطُواتِ السَّائرينَ، وشاعَت هاتِه الاستعارةُ التّمثيليَّةُ، حتّى صارُوا يقولون: هو يتَّبعُ خُطا فلانٍ؛ بمعنى: يقتدي به، ويمتثلُ له[2].

مجيءُ (إنَّ) التَّعليليَّةِ، في الآيةِ الكريمةِ:

عِلَّةُ نَهْيِ اتِّباعِ الشَّيطانِ، هي العَداوةُ والافْتِتانُ

علَّلَ ﷻ النَّهيَ عنِ اتِّباعِ خُطُواتِ الشَّيطانِ بأنَّه: عدوٌّ بَيِّنُ العداوةِ، وبيانُها ببيانِ آثارِهَا ونتائجِهَا[3].

نُكتةُ عَوْدِ الضَّميرِ في ﴿إِنَّهُۥ﴾:

الإضمارُ في مَواطِنِ المَهانةِ ذُلٌّ وإهانةٌ

(إنَّ) اسمُها ضميرُ الشَّأنِ عائدٌ على الشَّيطانِ دونَ العودةِ إلى ذكرِ اسمِهِ الصَّريحِ الموسومِ إذلالًا، وتحقيرًا، وإهانةً، فالإضمارُ في مَواطِنِ المهانةِ ذلٌّ.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ127.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/103.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2704.

نُكتةُ تقديمِ الجارِّ والمجرورِ:

الاعتناءُ بتقديمِ الجارِّ والمجرورِ ﴿لَكُمْ﴾ على المُتعلَّقِ؛ دليلٌ على التَّنفيرِ والتَّحذيرِ والتَّقذيرِ منَ الشَّيطانِ، بوصفِهِ عدوًّا صريحًا للمُؤمنين، مَعنيًّا بغوايتِهم، وإضلالِهم.

التَّحذيرُ مِنَ الشَّيطانِ وعداوَتِهِ للمؤمنينَ، في كلِّ حالٍ وحِينٍ

عِلَّةُ التَّصريحِ بالعَداوةِ باسْمِ الشَّيطانِ ﴿عَدُوٌّ﴾:

وفيه تخذيلٌ عنه وبلوغُ غايةِ النُّصحِ للمُؤمنينَ بأوجزِ لفظٍ لا تتَّسعُ الكراريسُ لإيعابِهِ، ومِن أجمعِ ما قِيلَ في بيانِ هذه العداوةِ: إنَّه " ظَاهرُ العَداوَةِ، يَمنَعُكُم ممَّا يَحفَظُ رُوحَكُم، ويَزِيدُ قُوَّتَكُم، ويَدعُوكُم إلى الافتراءِ على اللهِ إنْ نَسَبتُمُوهُ إلى أمرِهِ، وإلى دَعوى الإلَهيّةِ لكم إنِ استَقلَلتُم بِهِ"[1].

في اللَّفظِ تحذيرٌ، وتخذيلٌ، ونُصْحٌ للتّوقِّي

نُكتةُ وصْفِ عَداوةِ الشَّيطانِ بأنّه ﴿مُّبِينٌ﴾:

وَصَفَه بِـ ﴿مُّبِينٌ﴾ لِما فيه مِن تبجُّحِ الشَّيطانِ، ووقاحتِهِ، وعدمِ مبالاتِهِ بمَن يَهلِكُ بسببِهِ، وقطعِ المعذرةِ عمَّن يتابعُه، ويَنخدعُ بوساوسِهِ، أو يَنهزِمُ لِأَزِّه، "وليس معنى ﴿مُّبِينٌ﴾ أنَّه بَيِّنٌ واضحٌ عندَ السَّيرِ وراءَهُ، إنَّما هو بَيِّنٌ في نتائجِهِ وغوايتِهِ"[2].

اتِّباعُ خُطُواتِ الشَّيطانِ بَيِّنُ النَّتائجِ، واضِحُ العاقِبةِ

(1) القاسميّ، محاسن التّأويل: 4/509.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2704.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني عشر، سورة الأنعام من الآية 124 إلى سورة الأعراف الآية 13
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأنعام من الآية 124 إلى سورة الأعراف الآية 13 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 12 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-64-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 12 : سورة الأنعام من الآية 124 إلى سورة الأعراف الآية 13.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-798-64-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1637585 بتاريخ 2023/12/19م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»